دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الإبداع بين عالمين
المصدر:	مجلة الدبلوماسي
الناشر:	وزارة الخارجية - معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية
المؤلف الرئيسي:	الدعمي، محمد عبدالحسين
المجلد/العدد:	ع 50
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2010
الشهر:	مايو - جمادى الأول
الصفحات:	42 - 47
رقم MD:	388641
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	وسائل الإعلام ، القراءة ، الثقافة العربية ، العالم العربي ، الكتاب العرب ، المثقفون ، العالم الغربي ، الشعراء العرب ، النظم السياسية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/388641

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الإبداع بين عالمين

أ. د. محمد الدعمي

أستاذ محاضر في جامعة ولاية أريزونا

لا يمكن لمن يتابع الثقافة الأميركية الشائعة اليوم أن يفلت من ملاحظة الميل القوي إلى المبالغة، ليس من قبل منتجي المواد الإعلامية أو مسوقيها فقط، بل كذلك من قبل مستهلكيها كذلك، بالرغم من أنهم الضحايا النهائيون لهذا النوع من التهويل الإعلامي. لذا يلاحظ المتابع استسهال عبارات من نوع أنها "تصنع التاريخ" أو أنه "يصنع التاريخ الآن". وبطبيعة الحال يتم إطلاق مثل هذه العبارات من قبل المعلقين المحترفين في مناسبات متباينة الأهمية، بالرغم من أن المتابع يلاحظ أن هذا التباين يعكس شيئاً من الضحك على الذقون، وشيئاً من تمرير أو "تسليك" المبالغة غير المستساغة والسمجة أحياناً. بيد أن على المرء أن يلاحظ في سياق كهذا، الميل الذوقي الأميركي والغربي عامة لصناعة النجومية والاحتفاء بها، الأمر الذي يضع هذا النوع من المبالغات في سياق ثقافة شائعة مغرمة، حد الهيام بالنجومية، على عكس حالنا في العالم العربي (عدا مصر، ربما) حيث نقاوم النجومية ونبترها حال بروزها!

الطريف هنا هو أن المرء عندما يحاول أن يعرف "كيف" ومتى يُصنع التاريخ كي يجرب حظه في صناعته وتسويقه، خاصة عندما يقارن مهاراته ومواهبه الفردية بمهارات ومواهب هؤلاء الذين يعدون من "صنّاع" التاريخ و"منتجيه" في أمريكا. هذا النوع من المقارنة يمكن أن يكون محبطاً، ذلك أن التاريخ يصنع في أمريكا عندما تتعرى ممثلة مشهورة أمام الكاميرات أو تقدم مشهداً رومانسياً ساخناً. هنا تكون المقارنة بين ما أوتي المرء من مواهب وبين ما أوتيت هي به من مواهب و"قابليات" حالة يائسة نظراً لعجزنا الإتيان بمثل ما أتت به تلك الممثلة كي نقفز إلى مرتبة صناعة التاريخ. وتنطبق ذات الحال على صناعة التاريخ في الحقول الرياضية حيث يحصد سباح واحد مثلاً ثمانية أو عشرة أوسمة ذهبية في دورة أولمبية واحدة، دون التأكد من تناوله المنشطات المحرمة من عدمه. (لاحظ حالة السباح مارك سبيتز ٧ ميداليات أولمبية عام ١٩٧٣ م، ميونخ، والسباح فيلبس ٨ ميداليات ٢٠٠٨ م). يمكن للمرء أن يكون تاجراً أو معلماً

أو كاتباً، ولكنه هنا لا يمكن أن يبز أياً من السباحين أعلاه في مهاراتهما وسرعتهما كي يشاركهما في صناعة التاريخ. تنطبق ذات الحال على الكاتب خاصة، حيث إن التأليف والكتابة في العالم الغربي الرأسمالي يصنعان التاريخ فعلاً، خاصة إذا ما استذكر المتابع أسماء لكتّاب ومؤلفين فلاسفة تمكنوا من إدارة وتحوير مسارات الحضارة البشرية بأقلامهم، أي من خلال عدد من المؤلفات التي تمكنت من أن تترك آثاراً تشكيلية ليس على طرائق تفكير البشر فحسب، بل كذلك على طرائق وأنماط سلوكيات التاريخ ذاته عبر خروجه من المسارات المتوقعة لتطوره. هذا ما حدث فعلاً عندما قدّم رجال من أمثال سيغموند فرويد Frued أو تشالس دارون Darwin، من بين آخرين، كتبهم التي كانت بحق نوعاً من أنواع الإسهام في صناعة التاريخ، نظراً لما ألقاه الأول من أضواء على خفايا العقل البشري، والباطن المغمور منه؛ وما افترضه الثاني على سبيل تطوير إدراكنا لحركة التطور البايولوجي التي بدأت منذ دهور ولم تنته حتى اللحظة. لقد ألف فرويد والعشرات من أمثاله كتبهم في عالم أوروبي "يقرأ"، وليس في عالم لا يحب القراءة كعالمنا، حيث تكون القراءة عبئاً وثقلاً من المرحلة الابتدائية حتى نهاية العمر. إن القراءة في الشرق الدافئ الميال للكسل ليست عادة يومية، بل هي عبء وواجب يشبه واجب تناول الدواء المر من قبل الطفل المريض. وهكذا تبقى العلاقة بين الإنسان الشرقي والحرف المكتوب أو الصفحة المطبوعة علاقة توتر وتنافر حتى نهاية المطاف، للأسف.

لهذه الأسباب لم يظهر في تاريخنا الحديث كتاب (أي بعد دخول الطابعة عالمنا العربي الإسلامي) من عيار الكتّاب الذين صنعوا التاريخ أو حتى اصطنعوه من عيار فرويد أو دارون، إلا القليل. مأساة التأليف والكتابة في عالمنا العربي خاصة، تتبلور كذلك، زيادة على غياب ما يكفي من القراء، في الميل القوي والوسواسي لدى الزملاء من الكتاب والمثقفين لكبح المواهب الشابة والجديدة وتثبيط هممها بالطريقة التي تضمن تحجيم الكاتب وتقليم أظافره وأحلامه ومن ثم لجمه منذ "البداية"، أي منذ اللحظة التي تتبلور فيها علامات العبقرية الحقة أو الواعدة. لقد اعتادت الثقافة العربية، بقيادة أشهر الكتّاب وقادة الرأي فيها على لجم المواهب والمحاولات الواعدة أو اجتثاثها، بدلاً عن تشجيعها وتنميتها وسقياها. هذا واحدا من أهم أسباب عدم ظهور عبقريات من نوع صناع التاريخ وأثر ذلك على مساراته في عالمنا المخيب للآمال، على عكس العالم الغربي حيث يستقبل الكتاب الواعدون ويُحتفى بالمواهب، ولا نقول العبقريات، بما تستحق من تشجيع وتقدير، بل إن الجمهور والإعلام الغربي غالباً ما يبحث، وبدقة وعناية، عمن يستحق مثل هذا الاحتفاء والتقدير. إن الفرق بيننا وبينهم هو أنهم يتوقعون الشذرات الذكية والومضات العبقرية ولا يحاولون الإقلال من شأنها أو إطفاءها، بل يعملون جاهدين لاستقبالها ودعمها ورفعها إلى الأعالي كي تتمكن من صناعة التاريخ، لا أن تكون ضحيته.

"إن القراءة في الشرق الدافئ الميال للكسل ليست عادة يومية، بل هي عبء وواجب يشبه واجب تناول الدواء المر من قبل الطفل المريض"

لنلاحظ العكس من ذلك في مساحات ملحوظة من مهادنا الثقافي العربي الإسلامي المضاد للواعدين من الأذكياء والمعاكس لمسيراتهم والمتقاطع مع رؤاهم: نحن نحتفي بكل ما هو أجنبي حتى لو كان سفيهاً ساذجاً باعتباره شيئاً "إعجازياً" يستحق الشهرة، بينما نحبط كل ما هو محلي باعتباره شيئاً "عجزياً" يستحق التشهير. ننزعج إذا ما تفوق علينا أحد من أقراننا وأبناء ثقافتنا وجلدتنا، فنناصبه العداء ولا نتردد في نقده والتجريح به والإساءة إليه كي لا يتواصل في سيرة التقدم!

"إن الدور السياسي والاجتماعي يمكن أن يضطلع به الكاتب أو المؤلف درجة دفعه إلى الأمام للإسهام في صناعة التاريخ، تاريخ الأمة التي يجد نفسه في مهادها الاجتماعي"

هذا كان هو نصيب العبقريات الواعدة التي ظهرت لدينا في عصرنا هذا. لنلاحظ كيف تعالمنا مع أذهان وقادة فكر من عيار طه حسين في مصر، وأذهان عبقرية من عيار د. علي الوردي في العراق. حتى على مستوى الشعر، استكثرنا عنوان "شاعر العرب

الأكبر" على شاعر العرب الأكبر (بحق)، محمد مهدي الجواهري، إذا استثارت مثل هذه العناوين حفيظة المئات من النقاد الذين ناصبوا الجواهري العداء وحفظوا له أنواع الضغائن مراقبين كل جانب في حياته وسيرته وحتى طريقة لبسه على سبيل البحث عن الأخطاء والاختلالات التي هي الطريقة التي تضمن لنا إجهاض العبقريات وتبديدها.

متى نتمكن من تجاوز تحاملاتنا وخيلائنا لنحتفي بمن يصنع التاريخ لدينا. نعم نحن نحتفي بمن يصطنع التاريخ ويزوره لأنه قوي أو صاحب سطوة ما؛ ولكننا لا نحتفي بصناع التاريخ الحقيقيين الذين يموتون مصلوبين مثل الحلاج، بل ومنسيين مثل الجواهري الذي منع جثمانه من تلقي تراب مدينته النجف حيث ولد.

لاحظنا في أعلاه عدداً من أوجه الاختلاف بين مصائر المبدعين من شعراء وكتاب خياليين في عالمنا العربي الإسلامي، من ناحية، وبين مصائر أقرانهم في العالم الغربي، إذ أشرنا إلى الدور الاجتماعي والسياسي الذي يمكن أن يضطلع به الكاتب أو المؤلف درجة دفعه إلى الأمام للإسهام في صناعة التاريخ، تاريخ الأمة التي يجد نفسه في مهادها الاجتماعي، زد على ذلك محاولة تأشير عوامل اللجم وحتى الإعاقة التي تتعرض لها هذه العبقريات من أجل صدها ووضع حدود لما تضطلع به من دور قد يكون أكثر تشكيلية مما يجب! ومع هذا كله، فإن للمرء أن يفترض أن الكاتب أو الشاعر إنما هو ضحية قوة القدر التي تولده في مجتمع زاخر بالقرّاء والقادرين على القراءة أو في مجتمع جُلّه من الحفاة ثقافياً ومعرفياً، مجتمع كان قد تصحر ثقافياً: لا يقرأ ولا يريد أن يتقدم، وهذه هي حال العديد من المجتمعات الشرقية التي لم تتنبه لأهمية الثقافة ومنتجيها وناشريها إلا بعد فوات الأوان، أو إلا بعد أن تقرر قياداتها محاكاة النماذج الاجتماعية التي لا تفوت الفرصة للقراءة حتى وإن كانت بضع دقائق في محطة الباص أو في "الحمام".

هذه نقطة جديرة بالملاحظة، فالكتّاب الذين يجدون أنفسهم يكتبون بلغة واسعة الانتشار كالإنكليزية أو الفرنسية يختلفون تماماً عن هؤلاء الذين يجدون أنفسهم يكتبون بالتركية أو الفارسية أو حتى بالعربية وذلك بسبب طبيعة الجمهور المتلقي للإنشاءات الثقافية من ناحيتين، هما: عدد القادرين على القراءة والمؤلفين في ذلك المجتمع؛ ومقدار الوقت المخصص للقراءة من قبل كل واحد منهم. والحق يقال، فإن هذا الموضوع يلقي الضوء على سؤال "رفاه" الكاتب باعتبار أن الكتابة والتأليف إنما هي حرف وخدمات مستجيبة لقانون السوق، أي قانون العرض والطلب: فالكاتب الناجح باللغة الإنكليزية يمكن أن يتوقع ملايين القراء من الهند إلى الولايات الغربية لأمريكا مروراً بأستراليا ونيوزيلندا، بينما الكاتب باللغة العربية لا يمكن أن يتوقع مثل هذه الكتل البشرية من القراء؛ وفي أقصى حالات التفاؤل، عليه أن يتوقع بضعة آلاف منهم، خاصة بعد الاطلاع على آخر إحصائيات الأمية المنتشرة في المجتمعات العربية التي تجعل سوق القراءة والطلب على المطبوع محدوداً بدرجة مخيفة. ناهيك عن معضلات الجوع والفقر المنتشرة في أغلب مجتمعاتنا، وهي الحال التي تجعل القراءة أو الكتابة نشاطات كمالية أو ثانية مقارنة بالأنشطة التي تدر المال لشراء الغذاء والدواء، إذ تُدفع الشبيبة جميعاً إلى سوق العمل (وليس سوق الكتب) من أجل الخبز، وليس من أجل التوجه إلى الثقافة والاستنارة بها، ذلك أن الثقافة (برأي فئات من مجتمعاتنا) لا تجلب سوى الصداع والمشاكل والمساءلات القانونية والشكوك السياسية! وكذا كان الحال مع المبدعين، كتّاباً وشعراء، ذلك أن الشخص إذا ما قرر أن يحترف الكتابة، فإنه لابد وأن يسقط في مطب استذكارات مآسي الكتّاب والشعراء والمفكرين العرب والمسلمين الذين، في أحسن الأحوال، لفظوا أنفاسهم الأخيرة على بسط مجردة دون عناية صحية ورعاية ولا حتى أصدقاء أو أقارب يبكون مصائرهم المأساوية. من هؤلاء أعداد مهولة بل ومخيفة من الكتّاب والشعراء الفحول الذين يصعب استذكارهم جميعاً في سياق محدود كهذا.

قد يقول قائل إن الكتابة والتأليف "ما توكل خبز" هنا، وفي بقية أنحاء العالم كذلك، على طريق استذكار أعداد لا بأس بها من أسماء الكتّاب والشعراء الذين ماتوا فقراء ومعدومين حتى في أوروبا. هذا كلام صحيح إلا أن هذه الحالات لا يمكن التعويل عليها بهدف التعميم لإدانة حضارات وأنظمة سياسية تحترم نفسها وتقدر عبقرياتها، ناهيك عن أن مسببات الفقر في بعض حالات الكتّاب والشعراء أعلاه مردها سلوك فردي اختياري من قبل صاحب الشأن نفسه. أما القاعدة العامة، فهي "بالمقلوب"، كما يقال؛ ذلك أنها تشبه ما عاشته حضارتنا العربية الإسلامية نفسها في عصرها الذهبي، على عهود الكتّاب والشعراء الذين كانت رعايتهم من حصة الخليفة أو الأمير أو الحاكم، من أمثال هارون الرشيد ومعن بن زائدة وسيف الدولة الحمداني. في تلك العصور كانت القصيدة الجيدة أو العمل النثري الجيد يوزن ليقدم مقدار وزنه للمؤلف ذهباً.

"الثقافة (برأي فئات من مجتمعاتنا) لا تجلب سوى الصداع والمشاكل والمساءلات القانونية والشكوك السياسية!"

للمرء أن يراجع سير العبقريات الكبيرة في أوروبا عصور النهضة والأنوار والثورة الصناعية ليلاحظ كيف كان يعيش الكتّاب والمؤلفين الكبار، وكيف كانوا يبرزون الأمراء والدوقات وحتى الأباطرة في درجات الرفاه والرخاء التي كانوا يتمتعون بها، الأمر الذي يلقي الضوء على أسباب الومضات العبقرية التي أطلقتها أقلامهم. أما بالنسبة لنا، فإن الكاتب غالباً ما يعامل كشخص قادر على تصنيف الكلمات وتزويقها وترتيبها بطريقة متأنقة لا تستحق أكثر من أصوات من نوع: "أحسنت"، "أعد"! مثل هذه النظرة الدونية للكتابة والتأليف لا يمكن أن تنتج كتاباً قادرين على صناعة التاريخ أو حتى كتابته، بطبيعة الحال، إن العبقريات الحية الموجودة في المجتمع، إنما هي جزء لا يتجزأ من الثروة القومية لنا، شأنها شأن النفط والزراعة والموارد الطبيعية، فهي بحاجة إلى عناية المجتمع والحرص على حمايتهم والدفاع عنهم كالحرص على سواهم من ثرواتنا القومية والوطنية. وهذا ما لا يحدث في الكثير من الأحيان إذ تضمحل العبقريات، ثم تموت بلا صوت ولا طبول، هذا إذا ما ماتت بين ظهرانينا وليس في منافيها. يسأل الفيلسوف الإسكتلندي توماس كارلايل Carlyle قراءه البريطانيين عن ما الأثمن بالنسبة للأمة البريطانية: "الهند" أم "شكسبير"؟ كناية عن أهمية الكاتب أو الشاعر في تاريخ وبناء الأمة.

"إن العبقريات الحية الموجودة في المجتمع، إنما هي جزء لا يتجزأ من الثروة القومية لنا، شأنها شأن النفط والزراعة والموارد الطبيعية"

تواصلاً مع ما تطور من جدل أعلاه، للمرء أن يلاحظ ما يلي: (١) إن نخبة الكتّاب والشعراء عامةً معرضة لآفات الفقر والعوز المادي، خاصة في المهادات الاجتماعية الأقل تقديراً لدور ووظيفة هذه الفئة المهمة من الناس؛ (٢) إنهم، على نحو عام، يعانون مما يمكن تسميته بـ "تضخم الذات" أو "مركزية الأنا" المفرطة، باعتبار مواهبهم وقدراتهم العالية على "النطق"، الأمر الذي يميزهم عن سواهم من كتل "الجماهير" الأقل قدرة على النطق أو التعبير عن نفسها من أجل إبداء الرأي وتبادله. وهذه الحال تجعل من أصحاب الأقلام السيالة نخبة لها سطوة (نسبية) على الرأي العام: فهي قادرة على تشكيله وحتى على إرادته وتوجيهه، درجة أن الشاعر الرومانسي الإنكليزي شيلي Shelley P.B. عد الشعراء المشرعين الحقيقيين في العالم.

إن هذه النخبة الحساسة المرهفة الرقيقة تمثل إشكالية خاصة بقدر تعلق الأمر بعلاقتها بالسلطة وبالمجتمع وبمراكز القوة (لاحظ: إشكالية الثقافة والسلطة) بعدما ينتبه المسئولون إلى أهمية دورها ووظيفتها الاجتماعية. وقد قادت علاقة الشد والجذب، الحساسة والمتذبذبة والرقيقة، بين السلطة والنخبة المثقفة إلى مواقف سلطوية مختلفة من النخبة أو ما يمكن أن يسمى بـ "سراة القوم" أو "الصفوة الفكرية": (١) في الأنظمة أو الدول الرأسمالية، تركت هذه النخبة بشكل عام، حالها حال أي مسألة وقضية اجتماعية أخرى بعيداً عن تدخل الدولة، أي موضوعاً لقانون السوق الأعمى، أي لقانون العرض والطلب، حيث نظر إليها وإلى نتاجاتها بوصفها سلعاً أمام قانون العرض والطلب، ترتفع أسعارها مع ازدياد الطلب عليها وعلى نتاجاتها؛ وتنخفض مع العكس، الأمر الذي قاد كذلك إلى ظهور حالات الرعاية sponsorship، حيث تضطلع الشركات أو الرساميل الكبيرة برعاية الأسماء الثقافية البارزة للإفادة من نتاجاتها

ولاستثمارها، درجة تحول بعض الكارتلات والشركات إلى مؤسسات تدير أنشطة ثقافية (مسابقات، عروض، ندوات، مهرجانات، ... إلخ).

أما في الدول ذات الأنظمة الأكثر شمولية، كالدول الاشتراكية والأنظمة التوتاليتارية، فإنها، كالعادة، نظرت إلى العقول الذكية بوصفها جزءاً من الثروة القومية التي ينبغي أن تؤمم وتصادر من قبل الدولة، حالها حال الثروات الأخرى! وهكذا برزت ظاهرة محاولة الدولة فرض سيطرتها على هذه النخبة من خلال المال، إذ قامت بعض الأنظمة بتخصيص مرتبات شهرية للشعراء والكتاب، الأمر الذي قاد إلى تسابق أشباه هؤلاء أو أشباه الشعراء والكتّاب إلى نيل عضويات الاتحادات الأدبية والروابط القلمية من أجل استحصال "شهادات رسمية" بأن صاحب الشأن هو "شاعر" أو "ناقد" أو "مؤرخ" أو "أديب"، وهكذا. وقد وضعت الدولة والسلطات المختصة بسبب ذلك في حال لا تحسد عليه من الإرباك نتيجة لهذا النوع من الفوضى والتشبث بالرواتب والمال، حيث تبين أن عدد الشعراء في هذه الدولة أو تلك يفوق عدد شعراء اللغة الإنكليزية منذ بدايات العصر الوسيط حتى اليوم! الأمر الذي قاد المسئولين إلى تأمل ضرورة تكوين أو صناعة مقاييس لتعيير أو قياس المواهب والعبقريات! وهي طاقات لا يمكن قياسها أو وزنها، كما تقاس الأطوال وتوزن الأثقال، بطبيعة الحال. ولكن مع هذا كله، سقطت السلطات عامة في فخ اعتماد الموقف السياسي (مؤيداً أو مناوئاً للنظام) معياراً لتقييم العقول والأذهان الذكية، لذا ظهرت حالات التسابق لتملق السلطة ومغازلة ولاة الأمر درجة تشويه العقول والمواهب الذكية. كما قاد ذلك إلى اعتماد معايير واعتبارات مضحكة أحياناً لغرض التقييم، حيث يتم تقسيم الكتاب إلى فئات: فئة (أ) وفئة (ب) وفئة (ج)، وكذا الحال مع الشعراء: فهذا شاعر "أصلي"، وذاك الشاعر "إنتاج هونج كونج" أو كوريا أو الصين، وليس أصلياً... وهكذا! جميع هذه التمييزات والطبقات التي تذكرنا بالتقليد العربي العباسي القديم الذي سمي بـ "طبقات الشعراء"، ذلك أنها غالباً ما تكون اعتباطية ومعرضة للوساطات وللمحسوبية والمنسوبية خاصة في بلدان الشرق الأوسط، إذ صار للكتاب طبقات وللشعراء طبقات، وكذا الحال مع المؤرخين والأساتذة والصحفيين. هذه الطبقات تعتمد في علوها وانخفاضها على اعتبارات لا تمت للإبداع وللابتكار بأية صلة.

لقد كان الاتحاد السوفييتي السابق هو صاحب القدح المعلى بهذا النوع من الرعاية الحكومية للآداب والثقافة حيث كانت هذه الحقول الإبداعية ملكاً للدولة، إذ تعد أدوات للدعاية الشيوعية أو الاشتراكية في مواجهة الدعاية الرأسمالية أو البرجوازية، إذا ما استخدمنا المصطلح المفضل حينذاك. وقد اتبعت بعض الأنظمة المركزية الأيديولوجيا في العالم العربي خطاً موازياً لهذا النوع من الإنساق الشيوعية المعتمدة في الكتلة الاشتراكية، الأمر الذي أدى إلى ظهور أنماط متشابهة ومتكررة. وقد لوحظت هذه الحال على نحو خاص في طرائق الرعاية التي اعتمدت من قبل الأنظمة الشمولية، حيث صارت الفنون ملكاً للدولة، فوضع الممثلون والراقصات والكتّاب في سلة واحدة، هي من ممتلكات الدولة، تتصرف بهم حيث تشاء وكيفما تشاء، على سنوات المد القومي. وتنطبق ذات الحال على بعض الأنظمة الموجودة في مختلف بقاع العالم حتى اليوم، كما كانت عليه الحال على عهد النظام السابق في بغداد، حيث اعتمد نظام المرتبات والمكافآت للكتّاب والشعراء وأصحاب الأقلام بناءً على معايير الموقف السياسي وقربه أو بعده من الخطاب المطلوب، وهكذا. ويبدو أن هذا النوع من المركزية مازال معتمداً حتى اللحظة من قبل أنظمة "فولاذية" أخرى، مثل أنظمة الصين الشيوعية وكوريا الشمالية الشيوعية كذلك. ناهيك عن دول أصغر من دول العالم الثالث، ككوبا.

إن المنطلق الذي تعتمده الدولة لتسويق ولتسويغ هذا النوع من الرعاية (أو المصادرة) للثقافة والفنون هو منطق بسيط يسير الفهم: إنه حماية أصحاب الأقلام وتجنب وقوعهم ضحايا الفقر والاستغلال والانحراف، باعتبار حماية الدولة وصيانتها لهم. بيد أن

الذي حدث، ربما جاء معاكساً لهذه النتائج: فإذا ما "انحرف" الكاتب أو الشاعر عن الخط المرسوم له، فإنه يلاقي مصيراً مأساوياً مظلماً، ناهيك عن حرمانه من مرتبه و"أفضال" الدولة عليه. زد على ذلك سلبيات شعور العقول المتوقدة بأنها لا يمكن أن تكبح أو تروّض درجة "التدجين". هذا الشعور يقود إلى أنماط أخرى من التمرد على الأنساق المثبتة من قبل النظام والدولة، كما أنه يمكن أن يقود إلى شيء من الملل والإحباط الذي يطفئ الذكاء والتوقد الذهني، ناهيك عن حالة الكسل والخمول والترهل التي تصيب العقول المستنيرة بسبب ارتكانها إلى مرتبات نقدية تقدم لها على نحو دوري تدفع إلى عدم الاكتراث وعدم الشعور بسخونة "اللحظة القائمة" وتفاعلاتها. إن العبقريات والمواهب تشبه الطفولة أحياناً: فعندما تقدم لها الحرية المطلقة دون رقابة يمكن أن تضر بنفسها، كما أنها تتمرد عندما تكبح ويضغط عليها.